مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

# الأداء الصّوتي للغة الفصحى بين الواقع وأمل عبد الرحمن حاج صالح

# *The phonetic performance of the classical language between reality and hope Abdel Rahman hadj Saleh*

بلهادي رشيدة* جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر.
oumali.racha@gmail.com
عبد الحكيم والي دادة ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر.
abouchiheb2014@gmail.com

تاريخ المقال
الإرسال:2019-06-09 القبول:2019-10-01 النشر: 2020/12/07

ملخص البحث

ندّد الرّاحل عبد الرحمن حاج صالح بتعليم النشء الملكة اللغوية عن طريق تلقين صحيح التّعابير وجميلها، وإهمال ما يتطلّبه الاستعمال اليومي للغة من خفة واقتصاد لغوي ، مشيرا إلى أنّ ذلك يؤدي إلى تحوّل اللغة إلى لغة أدبيّة عاجزة عن أداء دور لغة التّعبير، ولعمري إنّه لطرح جميل إذا أمكن تطبيقه على أرض الواقع، لذا سنحاول في بحثنا إسقاطه على الواقع التّعلّمي للغة العربيّة، مبرزين آليات الاقتصاد اللغوي ، والسّبيل إلى تعلّم المستخفّ –الفصيح- من قبل الأطفال دون تلقين مع مراعاة سنّهم وقدراتهم الذّهنيّة.

الكلمات المفتاحية

عبد الرحمن حاج صالح- المستخف الفصيح - اقتصاد لغوي- صوتيات.

**Abstract**

The late Abdel Rahman hadj Saleh denounced the education of young linguists by teaching the correct expressions and beautifying them, neglecting the daily use of language and language economy. If it can be applied on the ground, so we will try in our research to drop it on the learning reality of the Arabic language, highlighting the mechanisms of the economy of language, and the way to learn the obvious - the sound - by children without education, taking into account their age and mental abilities.

**Keywords**

Abdel Rahman hadj Saleh_ Fluent- agile language _ Language Economics _phonology

*المؤلف المرسل

**1. مقدمة:**

نفى الدّكتور "عبد الرحمن حاج صالح" أن تكون لغة التّخاطب اليوم صورة متطوّرة للهجات العربيّة، وبيّن أنّها متطوّرة عن لغة فصيحة؛ غير أنّها نظرا لاستعمالها في الحاجات اليوميّة أصبحت أكثر عرضة للخطأ، يقول: «أمّا أن نقول بأنّ اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليوميّة وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفويّة، ليست هي العربيّة الفصحى، بل اللهجات العامّية التي هي نتيجة لتطوّر الفصحى المنطوق بها ولهجاتها، فهذا لا مردّ له، إذ لغة التّخاطب اليوميّ هي أكثر عرضة للخطأ وبالتّالي أسرع المستويات إلى التّحوّل البنيوي» (حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، 2012)، وأرجع الدّكتور "عبد الرحمن حاج صالح" سبب تقلّص رقعة استعمال اللغة العربيّة بعد زوال الفصاحة إلى تعليم الملكة اللغوية عن طريق التّلقين بدل السّماع؛ فقال: «إنّ اللغة إذا صارت تكتسب الملكة فيها بالتّلقين وإذا اقتصر هذا التّلقين على صحّة التّعبير وجماله فقط (أو ما يبدو أنّه كذلك) واستهان بما يتطلّبه الخطاب اليومي من خفّة واقتصاد في التّعبير وابتذال واسع للألفاظ تقلّصت رقعة استعمالها، وصارت لغة أدبيّة محضة وعجزت حينئذ أن تعبّر عمّا تعبّر عنه لغة التّخاطب الحقيقيّة سواء كانت عامّية أم لغة أجنبيّة» (حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، 2012)2.

في كلام الدّكتور "عبد الرحمن حاج صالح" إشارة واضحة إلى حلّ هذه المعضلة اللغويّة التي مسّت اللغة العربيّة وهو السّماع أو تعليم اللغة العربيّة للنشء عن طريق السّماع، وإذا لزم التّلقين وجب أخذ الاقتصاد اللغوي بعين الاعتبار. ولكن ما المقصود بالاقتصاد اللغوي وما آلياته؟

**2. تعريف الاقتصاد اللغويّ**

الاقتصاد في اللغة: جاء في اللسان ذكر لمادّة (ق ص د) بمعان مختلفة منها: استقامة الطّريق، والعدل، وإتيان الشّيء، والقصد في الشّيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتّقتير (ابن منظور).

أمّا في اصطلاح اللغويين فالاقتصاد «أن يكون المعنى المندرج تحت عبارة حسب ما يقتضيه المعبّر عنه مساويا له من غير زيادة فيكون إفراطا ولا نقصا فيكون تفريطا» (غديري، سمات الاقتصاد اللغوي في العربية، 2002-2003)؛ وهذا التّعريف أقرب ما يكون إلى المعنى اللغوي للاقتصاد، غير أنّ من اللغويين من دعا إلى التّخفيف بقدر المستطاع بمعنى «أن يبلغ المتكلّم بمضامين كلامه الفوائد القصوى، مع اكتفائه بأقل قدر من الجهود الذّهنيّة والوظيفية لأداء الخطاب» (رواق، 2017)، وهو الأمر الذي عدّه "بيير جيرو" شرطا فقال: «الاقتصاد في الكلام مرتبط بشرط الجهد الأقل ولهذا فهو يعتبر مصدرا آخر من مصادر تغيّر المعنى» (غديري، سمات الاقتصاد اللغوي في العربية).

أمّا الدكتور"عبد الرحمن حاج صالح" فربط بين الاقتصاد اللغويّ والحالة النّفسيّة للمتكلّم فقال: «نعني بالاقتصاد هاهنا ما كان يعنيه العلماء العرب قديما من كلمة الاستخفاف؛ وهي عبارة عن نزعة المتكلّم الطّبيعية إلى التّقليل من المجهود العضليّ أو الذّاكريّ عند إحداثه لعباراته في حالة الاستئناس وعدم الانقباض» (حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية)، وإذا كان الإنسان مستأنسا أكثر وقته، لزم استعمال اللغة الخفيفة أكثر الوقت باستعمال آليات الاقتصاد اللغوي.

**3. آليات الاقتصاد اللغوي:**

أشار فخر الدّين قباوة إلى أهمّ الآليات المستعملة في إنتاج لغة خفيفة مسترسلة فقال: «الحقّ أنّ ما سلكته العربيّة، في مسيرتها الاقتصاديّة هذه،

أكبر من أن تستوعبه المماثلة والمخالفة، إلا إذا قلّمنا استطالاته وحشرناه في ذلك بالضّغط والإكراه. ونحن واجدون له سبلا أكثر استيعابا وأرفق تناولا للمظاهر المختلفة، تساعد على الإجمال والتّفصيل، وتمثّل أنماط الاستخفاف في الاقتصاد العلاجي. وهي ما يكون في الأصوات من التّقريب، والتوحيد، والنّقص والزّيادة والنّقل» (قباوة، 2001)؛ وفيما يلي تفصيل الآليات الخمس:

**1.3 تقريب الأصوات**

تنافر الحروف أمر مخلّ بالفصاحة الأمر الذي أدّى إلى إيجاد حلّ له عن طريق تقريب الأصوات؛ يقول فخر الدين قباوة: «إنّها نزعة العناصر المتنافرة لشدّة التّباعد أو التّماثل، إلى التّقارب فيما يزيل التّعثّر» (قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد) أمّا أنماط التّقريب فتتمثّل في: المشاكلة، والمجانسة، والممازجة (قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد).

أ. المشاكلة: وتسمّى المحاذاة، عقد لها ابن فارس بابا سمّاه (باب المحاذاة) وقد جعلها في الألفاظ، وسمّى "ابن جنّي" هذه الظّاهرة ب (الجوار)، ومعناها أنّ الشّيء يعطى حكم الشّيء إذا جاوره. ((الأدبعي، 2010))

ب. المجانسة: و هي أن يصير الصوتان المختلفان المتماسان أو المتقاربان من جنس واحد، أي مشتركين في المخرج مختلفين في الصفة، و يقع هذا بين حركة و حرف أو بين حرفين (قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد))

ج. الممازجة: أن يؤدي التفاعل بين الصوتين إلى تبدل أحدهما، فيصير من جنس الآخر فيمتزج الأول بالثاني ليكونا صوتا واحدا في مقطع متوسط ممدود ((ابن جني و النجار)

**2.3. توحيد الأصوات**

ويرجع ذلك إلى تماس أو تقارب الأصوات بشكل يصعب أداؤه، وفي الحالة التّركيبية يتولّد عن الاحتكاك بين الحروف أو الحركات تبدّلات اضطرارية أو محتملة، فيتّفق الصّوتان على شكل يوحّد مصيرهما ((قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد))، ومن أنماط ذلك:

أ. المماثلة في الحرف: ومعناها تأثّر الأصوات اللغويّة بعضها ببعض تأثيرا يعدف إلى نوع من المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات والمخارج (عمر، 1429 ه)).

ب. المماثلة في الحركة: ومعناه مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامّة، ككسر ضمير الهاء إذا كان قبله ياء أو كسرة.

ج. المناظرة: لتصرف في الصيغ لغير سبب صوتي ظاهر في البنية، لتصير الكلمات نظيرة ما تشاركه في المبنى أو المعنى لمقاصد شكلية فنية. (الجزري و تح : الضباع)) وتندرج الإمالة تحتها

**3.3 نقص الأصوات**

ومعناه حذف الصّوت واستبعاده ((قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد))، ومن أنماط النّقص:

أ. البتر: استعمل مصطلح البتر للدّلالة على نوع من عيوب اللفظ يصيب حروف المدّ فيفقدا سمتها المميّزة، ويدل على نقص الأصوات وعدم تمكّنها. (مكريني))

ب. الإضعاف: ويحدث هذا نتيجة وجود صوت قوي ضمن بيئة صوتيّة معيّنة ومن أمثلة ذلك إضعاف الهمزة في سأل (سال) وممّا قد يكون عاملا مساعدا في هذا الإضعاف للهمزة أنّها وقعت بين حركتين وهما الفتحتان، وهذه بيئة صوتيّة تؤدّي في بعض اللغات إلى إضعاف الصّوت القويّ ((الناصر)

ج. **النّحت:** هو ضرب من الاشتقاق يسمى الكبار و يراد به صياغة كلمة من تركيب إسنادي أو إضافي أو عطفي أو وصفي بأحرف مختارة من مفرداته للدلالة على المعنى المركب و على هذا يكون في الصياغة إسقاط أصوات كثيرة.

**3.4 زيادة الأصوات**

وذلك بزيادة أصوات إلى اللفظ لتأمين الجهد الأدنى للفظ( (قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد) ، ومن أنماط ذلك:

أ. الفصل: وهو إقحام صوت أو أكثر بين الحرفين المتماثلين أو المتنافرين أو المتجانسين لإزالة ثقل الأداء اللفظي فيما هو كلمة واحدة. (قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد)

ب. التّخلّص: هو التّصرّف في أحد السّاكنين المتماسّين من الصّيغة لإزالة تعذّر اللفظ أو ثقله(قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد)).

ج. التّمكين: وذلك بإضافة صوت إلى الكلام للتّمكن من أداءه كإضافة همزة الوصل للتّمكن من النّطق بالسّاكن بعدها.

**3.5 نقل الأصوات**

1. وهذا أسلوب تصطنعه العربيّة لتيسير الأداء، وإزالة العراقيل المترتّبة عن توضّع الأصوات في الصّيغ المختارة للاستهلاك(الناصر، شرح صوتيات سيبويه))، ومن أنماطه:

أ. المخالفة: ومعناها تغيّر أحد صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر قريب منه في الصّفات والمخرج، ويغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة، أو من الأصوات المائعة أو المتوسّطة( (سعيد حسين، 2009)).

ب. الانزياح: إذا نظرنا إلى الانزياح الصّوتي من زاوية أسلوبية ظهر أنّ كل هذه الأنماط تندرج تحت مصطلح "الإنزياح" لكن المقصود هنا ما يعرف عند علماء الشّعر والعروض بالزّحافات والعلل، فهذان اللونان من التّغيّر العروضي، يسهمان في تنويع الإيقاع النمطي، وهو إحدى الوسائل التي تقضي على رتابة الشّكل المنتظم لتعاقب الحركات والسّواكن( (بودوخة، 2016)، ومن أمثلة ذلك انزياح ضمّة العين في تصريف الفعل قال في المضارع إلى الفاء.

ج. القلب: إعلال القلب –اصطلاح صرفي- ويعني قلب حرف إلى آخر، وقد يقع بين حروف العلّة والهمزة، فتقلب الواو والياء والألف همزة، كما تقلب الهمزة إلى حرف من حروف العلّة، وفي الحالين يكون القلب واجبا أو جائزا، وقد يكون شاذا في بعض الأحيان (اللبدي، 1985).

يبدو أنّ الآليات الخمس التي قدّمها "فخر الدين قباوة" تشتمل على جلّ أنماط الاقتصاد اللغوي ، وإن غاب مصطلح الإبدال فلتشعّبه وقد يكون مدرجا في كثير من الأنماط المذكورة.

الدكتور عبد الرحمن حاج صالح دعا إلى تعليم النشء هذه الآليات، وبين أن لا سبيل إلى تعلّمها في المدرسة واللغة الفصحى التي يلتقطها في الإذاعة والتّلفزة(حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية))، وذلك لاعتماد المتكلّمين لغة فيها كثير من التّكلّف. ولكن لم لا سبيل لتعلم هذه الآليات في المدرسة؟

تراعي البرامج التّعليمية سنّ المتعلّمين وقدراتهم الذّهنية –غالبا- والواضح حين تأمل آليات الاقتصاد اللغوي تداخلها، ودقّتها، والأهم عدم إمكانية رؤية الصّورة الأصلية وتحوّلها، فيستطيع المتعلّم تعليل الانزياح الحاصل، خاصّة في الأطوار الأولى، حيث اعتماد المتعلّم على المحسوسات، ثمّ ينمو المتعلّم، وتنمو قدراته الذّهنيّة فيصبح أكثر قدرة على التّحليل، لكنّه وقتها يواجه كمّا هائلا من المعلومات الواجب تعلّمها في غضون سنوات قليلة. ولأنّ اللغة أصل وفرع، وجب تقديم الأصل على الفرع، فكان النّاتج عدم إدراج مثل هذه القواعد في البرامج الدّراسيّة إلا قليلا منها من قبيل همزة الوصل وعلاج التقاء السّاكنين...

ولكن هل هذا يعني عدم تعلم النّشء مثل هذه الآليات؟

طبعا يمكن أن يتعلّمها، ولكن عن طريق السّماع، أي استعمال الفصيح المستخفّ من الألفاظ

في لغة التّخاطب، أو بعبارة أخرى: محاولة إعادة اكتساب اللغة عن طريق السّماع تماما كما كان عليه الأمر في عصر الفصاحة، أو على الأقلّ اختيار نصوص مناسبة يكتسب المتعلّم من خلالها هذه الآليات.

## 4. خاتمة

دعا الدكتور عبد الرحمن حاج صالح إلى تعليم النشء لغة مستخفة فصيحة وبتأمّل هذا الطّرح ظهر لنا أنّ:

- تعليم المستخفّ الفصيح من اللغة يستلزم معرفة بآليات الاقتصاد اللغوي.
- يمكن حصر آليات الاقتصاد اللغوي في : التّقريب، والتوحيد، والنّقص والزّيادة والنّقل.
- تتميّز هذه الآليات بالتّداخل والتّشعّب وصعوبة إدراك أغلبها بالحواس.
- يصعب إدراج آليات الاقتصاد اللغوي ضمن البرامج التّعليمية خاصّة في الأطوار الأولى.

يمكن للنّشء تعلّم الفصيح المستخفّ عن طريق السّماع بدرجة أولى أو عن طريق اختيار نصوص تمكّن المتعلّم من هذه الآليات.

**- المصادر والمراجع:**


ابن الجزري، و علي محمد تح : الضباع. النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو عثمان اين جني، و محمد على النجار. الخصائص.

أحمد مختار عمر. (1429 ه). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.

بلقاسم مكريني. معجم المصطلح الصوتي عند علماء التجويد. بيروت: دار الكتب العلمية.

صلاح الدين سعيد حسين. (2009). التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي المقطع - الكلمة- الجملة. سوريا: جامعة تشرين .

عبد الرحمان حاج صالح. (2012). بحوث و دراسات في اللسانيات العربية (الإصدار 01). الجزائر: موفم للنشر.

عبد الغني شوقي موسى الأدبعي. (ماي, 2010). الجملة العربية بين فضاءين ( الشعر و النثر). مجلة جامعة ذمار للدراسات و البحوث (12)، صفحة 267.

عبد المنعم الناصر. شرح صوتيات سيبويه. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد المنعم الناصر. شرح صوتيات سيبويه.

فخر الدين قباوة. (2001). الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد. مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان.

محمد سمير نجيب اللبدي. (1985). معجم المصطلحات النحوية و الصرفية. الأردن: دار الفرقان.

مسعود بودوخة. (2016). الأسلوبية و البلاغة العربية مقاربة جمالية. الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.

هادية رواق. (2017). مبدأ الاقتصاد اللغوي في الاستعمال العربي ( مترع الخفة و اجتناب الثقل نموذجا). مجلة العلوم الاجتماعية (25)، صفحة 12.

وردة غديري. سمات الاقتصاد اللغوي في العربية.

وردة غديري. (2002-2003). سمات الاقتصاد اللغوي في العربية. باتنة: جامعة الحاج لخضر.